2003

The Colors of Change: Participation in School Upgrading in Egypt [Arabic]

Linda Herrera

Follow this and additional works at: https://knowledgecommons.popcouncil.org/departments_sbsr-pgy

How does access to this work benefit you? Let us know!

Recommended Citation

Herrera, Linda. 2003. "The Colors of Change: Participation in School Upgrading in Egypt [Arabic]." Cairo: Population Council.

This Book is brought to you for free and open access by the Population Council.

ألوان التغيير

تطوير مدرسة في مصر بأسلوب المشاركة

اعداد د. ليندا هيريرا

ترجمة: ا. نولة درويش

مجلس السكان الدولي

برنامج منح أبحاث الشرق الأوسط

في السكان والعلوم الاجتماعية (ME Awards)

مجلس السكان الدولي

يسعى مجلس السكان إلى تحسين رفاهية الأجيال الحالية والقادمة وصحتها الإنجابية في كل أنحاء العالم كما يسعى إلى تحقيق توازن إنساني ومنصف ومستديم بين السكان والموارد، والمجلس - وهو منظمة بحثية غير حكومية ولا تسعى إلى تحقيق الربح - مجلس أمناء متعدد الجنسيات. وقد أنشئ عام ١٩٥٢ ومقره الرئيسي في نيويورك وله شبكة عالمية من المكاتب الإقليمية والقطرية

٢٠٠٣ مجلس السكان الدولي ©

لمزيد من المعلومات و النسخ
رجاء الإتصال

بمجلس السكان الدولي

منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا

٥٩ طريق مصر حلوان الزراعي - المعادي - مصر

تليفون : (٢٠٢) ٥٩٦٥-٥٢٥ / ٥٩٦٧-٥٢٥ / ٥٩٦٨-٥٢٥

فاكس : (٢٠٢) ٥٩٦٢-٥٢٥

بريد إلكتروني : pcouncil@pccairo.org

ألوان التغيير:

تطوير مدرسة في مصر
بأسلوب المشاركة

إعداد د. ليندا هيريرا

ترجمة أ. نولة درويش

د. ليندا هيريرا منسقة برنامج التربية في المكتب الإقليمي لغرب آسيا وشمال أفريقيا لمجلس السكان،
بالقاهرة.

٤	تقديم
٥	شكر
٦	مقدمة
٧	التعليم، والنوع، ومشاركة المجتمع المحلي
١٠	١. إفراط في الاستخدام و ضغوط عالية: حالة مدرسة حضرية تعمل فترتين
١٤	٢. الشراكة القائمة على أساس المشاركة
١٧	٣. النوع في مكان العمل
١٩	٤. مشاركون غير راغبين في المشاركة
٢١	٥. ألوان التغيير
٢٥	٦. بين الفوضى والنظام: ثقافة المدرسة ومعسكر العمل
٣٠	٧. اختبار المتابعة والاستدامة
٣٤	٨. الخلاصة
٣٦	ملحق: الخطوات الإرشادية لتبني مدرسة
٣٨	ملاحظات
٣٩	المراجع

لقد ظلت البحوث التربوية وتلك الهادفة إلى تصميم السياسات في مصر والعالم العربي ذات طبيعة كمية إلى حد كبير، كما حكمتها اعتبارات متعلقة برأس المال البشري، والتحديث، والوظيفية. إلا أن هناك حاجة إلى تطوير مزيد من المقاربات الكيفية في تناول ثقافة المدرسة، بحيث تساهم في تمكين كل من صانع السياسات، والإصلاحي التربوي، والمنتمي إلى الأوساط التربوية من إبداع أساليب جديدة للمدارس، ودفع الإمكانات التي تحملها تلك المؤسسات على المساهمة في خلق مجتمعات أكثر إنسانية وعدالة. لقد قام برنامج منح أبحاث الشرق الأوسط في مكتب غرب آسيا وشمال أفريقيا لمجلس السكان بدعم كريم من هيئة التنمية الدولية الكندية (سيدا)، بتأسيس مجموعة عمل معنية بالثقافة والتربية في مصر، بهدف تناول قدرة البحوث الكيفية أو الإثنوغرافية على المساهمة في تطوير الجدال الدائر حول السياسات والإصلاح التعليمي. وبصفتي منسقة لهذه المجموعة، أمل أن تساهم هذه الدراسة المتواضعة حول المشاركة الجماعية في تقديم نموذج يبين الدور الذي يمكن أن تضطلع به البحوث الكيفية الموجهة نحو التغيير كأداة معاونة للإصلاح التربوي والاجتماعي.

لقد حاولت أن أبرز في هذه الدراسة أن المدارس العامة في الدول النامية - مثل مصر - تشهد حالة من التدهور السريع، نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل، منها: الضغوط السكانية، وغياب المساواة الاجتماعية، والوتائر السريعة للتحويل إلى الحياة الحضرية، وندرة الموارد، والمواقف المبنية على التشكيل الثقافي، والإشراف السياسي، والتحديات البيئية. لقد قام عدد من المتطوعات من مجلس السكان بإطلاق مبادرة "تبني مدرسة" بالتعاون مع مدرسة عامة للبنات لاستكشاف إمكانية تطوير المناخ المدرسي من خلال مقارنة مبنية على المشاركة. وتصف هذه القصة كيف يمكن التخفيف من العراقيل التي تفرضها بيروقراطية النظام التعليمي، وفي الوقت ذاته طرح مبادئ المشاركة، والمساواة بين النوعين، والعمل الجماعي، من خلال تدخلات المجتمع والمنظمات غير الحكومية. كما يتضمن هذا البحث بعض النتائج التي تشير إلى إمكانات تحول الآليات المتعلقة بالنوع والفصل في ثقافة المدرسة، والتحديات التي يفرضها نظام الفترات المدرسية، والطرق التي تؤثر بها حالة المكان على مجمل الخبرة التربوية. وربما يكون أبرز ما توضحه هذه الورقة هو اكتساب الطالبات للوعي، واحترام الوسط المحيط، والتحول إلى وسائط فاعلة للتغيير، من خلال المشاركة في اتخاذ قرارات تتعلق بأمور أساسية مثل اختيار ألوان جدران الفصول.

ليندا هيريرا

القاهرة ٢٠٠٣

تود الباحثة أن تتقدم بشكر خاص إلى المدرسة وأبناء الحي الذي تقع فيه للاهتمام الذي أبدوه ، والتزامهم، ومرحهم، وتسامحهم، والجهد الشاق الذي بذلوه. لقد قدمت كل من بربارا إبراهيم وسارة بخاري، من لجنة المنظمة غير الحكومية، مشاركة لا تقدر بثمن خلال كل مراحل مشروع "تبني مدرسة". كما أقدم شكري العميق إلى د. حسن البلاوي، التربوي ذو النظرة النقدية، ووكيل وزارة التربية والتعليم، لكل الدعم، والجهود المضيئة التي بذلها في بناء الشراكات من أجل إصلاح النظام التعليمي في مصر. لقد ساهمت منحة كريمة مقدمة من هيئة التنمية الدولية الكندية إلى برنامج منح أبحاث الشرق الأوسط في تمويل النشر باللغة العربية، ضمن أنشطة أخرى. (وكانت المجلة الدولية للتنمية التربوية قد سمحت للكاتبة بإعادة نشر أجزاء من مقال سبق نشره بعنوان "المشاركة في تطوير مدرسة: النوع، والطبقة، والعمل في مصر" (Herrera 2002).) أتقدم أيضا بشكري إلى نولة درويش لعنايتها الفائقة في ترجمة الكتاب إلى العربية، وإلى مايكل عماد لمساعدته في التصميم والطباعة. وأخيرا أهدي هذا الكتاب إلى روح السيد مصطفى باظا، التربوي المصري النموذجي.

بقلم د. حسن البلاوي

وكيل أول وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية

تشهد مصر مرحلة انتقالية نحو مستقبل جديد يستند إلى الديمقراطية، والحرية، والمشاركة الاجتماعية؛ وتتعاظم رسالة التربية والتعليم في ظل هذه الظروف، وفي إطار سياسة الباب المفتوح، حيث أصبح التعليم هو المشروع الذي يقع على قمة الأولويات في مصر؛ كما تسعى الجهود الإصلاحية - الجارية حالياً - إلى تحقيق الأهداف الثلاثة التالية:

- النهوض بالمشاركة الاجتماعية في مجال التعليم.
- تحقيق نقلة نوعية في كل نواحي النظام التعليمي.
- استكمال البنية التحتية المعرفية للنظام التعليمي.

لا يمكن إنجاز تلك الأهداف الثلاثة بسهولة، بسبب بعض أوجه الثقافة السائدة، وهي ثقافة تقاوم وتعوق العملية الانتقالية. وبالتالي، اتسمت آليات الانتقال في المجتمع المصري ببعض التأرجح، ما بين المدّ والجذر، والتقدم والتقهقر. كما تميزت إستجابات أولئك الذين يفتقدون القدرة على إستيعاب خصوصية هذا الزمن - مع كل عملية تراجع - بالشعور باليأس والخوف العام. والواقع، أننا لا نعتقد أن عمليات التراجع تلك تحول دون حدوث الانتقال، بل تؤدي فقط إلى تباطؤ حركته.

سوف تستمر هذه الجهود الإصلاحية في إصرارها على المضي قدماً إلى الأمام إلى أن يأتي الوقت الذي تستنزف فيه الثقافة المهيمنة لتحل محلها ثقافة جديدة تتسم بالتفتح والديمقراطية. وحينما نصل إلى هذه المرحلة، سيعيش المجتمع المصري مرة أخرى إيقاع طبيعي للتغيير مع الاستعداد للحظة انتقالية جديدة. وعليه، فإن الانتقال الذي نشير إليه ينتمي إلى المستقبل - أي إلى الزمن الجديد الذي ينبؤنا به - أكثر مما ينتمي إلى الماضي.

وفي هذا الإطار، تعد التربية الأداة الفعالة لإنجاز الانتقال المرجو، وهو ما يجعل المهتمين بالإصلاح التربوي بحاجة إلى إيجاد الحلول للتعامل مع آليات الانتقال، بحيث تصبح في خدمة المستقبل. غير أن "هذه الحلول لا بد وأن تأتي من خلال الناس، وليس فقط من أجلهم ولا أن تكون مفروضة عليهم"، وفقاً لباولو فريري.

ويرى باولو فريري أن ما نحتاجه هو "التوجه إلى الناس، ومساعدتهم على الانضمام إلى صناعة التاريخ، والمشاركة فيه، محملين بوعي نقدي؛ ومن أجل إنجاز هذا الهدف، نحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى تربية تساعد الناس على التأمل في أحوالهم، ومسئولياتهم، والدور المنوط بهم في المناخ الثقافي الجديد". إن هذه الدراسة التي أعدتها الباحثة المتميزة ليندا هيريرا بعنوان "ألوان التغيير: تطوير مدرسة في مصر بأسلوب المشاركة"، يعكس إيماناً عميقاً وقوياً بذلك الإدراك الجديد، أي أن مصر أمة في مرحلة انتقالية. يستند بحث ليندا إلى مقارنة مبنية على المشاركة الجماعية، لا تكتفي بتفسير الواقع، بل تقوم أيضاً بتشجيع تدخلات المجتمع، والمنظمات غير الحكومية وهي مقارنة مناسبة تماماً للهدف، فهي تتفق وغايات التربية، وخاصة دعم قدرات الناس على العمل بأنفسهم، ومن أجل أنفسهم.

في هذا البحث، نجد ليندا منغمسة في العمل مع طالبات إحدى المدارس العامة - من خلال منظمة غير حكومية - لحفز رغبتهن في التغيير وذلك من خلال تجميل مدرستهن بالألوان التي يحبونها وقد تفاعلت مع هذا الأمر جميعاً فعملن معاً لتحقيق التغيير، وبدأ يلوح واعي جديد وسط صفوف الطالبات؛ كما تدعمت الصلة بين المدرسة والمجتمع المحيط، واكتسبت الطالبات بعض مهارات العمل. إن النتائج التي تخلص إليها هذه الدراسة تؤكد قدرة الناس على المشاركة الفعلية في بناء مستقبلهم.

التعليم، والنوع، ومشاركة المجتمع المحلي

إذا كنا لا نكتفي فقط ببناء مزيد من الفصول، بل نحرص بكل حماس على الحفاظ على نظافة تلك الفصول، وطابعها المبهج الجميل.. فإنه سرعان ما سيحتاج هذا المكان إلى نوع آخر من الجمال، أي: الكفاءة في التعليم، والاستمتاع بالتعلم، والخيال المبدع، المصحوب بحرية الممارسة ومغامرة الإبداع.

Paulo Freire

Pedagogy of the City (Gadotti, 100)

صورة ملحق المدرسة من زاوية الشارع

تلوح أمامنا بصورة ضخمة مدرسة إعدادية عامة للبنات (من الصف السادس للصف الثامن)، وهي تقع في أحد الشوارع الرئيسية لحي سكني راق جنوب القاهرة. إن المظهر المهمل للمدرسة - بنوافذها المكسورة، وجدرانها المتفحمة نتيجة احتراق شجرة قبل خمس سنوات، وأكوام القمامة المكدسة على الرصيف - يتناقض

تناقضاً شديداً مع مجموعة المحلات الأنيقة، وصفوف الأشجار الموجودة في هذا الشارع. وقد تساءلت مجموعة مكونة من ثلاثة نساء من أهل الحي (من ضمنهن مؤلفة هذا الكتاب) مرتبطات بمنظمة دولية غير حكومية (مجلس السكان) حول آثار هذه البيئة المتهالكة على الطالبات والمدرسين الذين يعملون بالمدرسة، وكما أشار مؤخراً مسحان قوميان عن المراهقة والبيئة المدرسين في مصر، أن حالة المدارس تساهم بشكل ملحوظ في التجربة التعليمية الكلية وتؤثر في الرفاهية النفسية والفسولوجية للطلبة والمعلمين (الطويلة وآخرون ١٩٩٩ و ٢٠٠٠).

وقد شجعتنا إمكانية الجمع بين تطوير المدرسة، والقيام بعمل جماعي مبني على مقاربة حساسة لقضايا النوع، فقمنا بإبرام علاقات شراكة مع أعضاء بوزارة التربية والتعليم، وأعضاء بالإدارة التعليمية على مستوى المحافظة، وآخرون ينتمون للحي المحيط، "لتبني" هذه المدرسة. وكنا نأمل أن يساهم تضمين الطالبات، والمعلمين، وأعضاء المجتمع المحلي في عملية تحديد مصادر الإهمال البيئي والعمل معاً على التغلب عليها في تقديم خبرة تربوية لا تقدر بثمن في مجال العمل بالمشاركة، والتعليم المدني، والمواطنة الملتزمة. بل إن المقاربات التربوية المبنية على المشاركة، والتي تتضمن إشراك المجتمع المحلي في التعرف على المشاكل والعمل على إيجاد الحلول، تتمتع بفرص أفضل للاستدامة، حيث إنها تمثل عملية يتحمل فيها أعضاء المجتمع المدرسي مسؤوليات تجعلهم فاعلين نشطين، بدلاً من

أن يكونوا متلقين، سلبين، وتابعين.

صورة داخلي ل أحد الفصول

يعتبر موضوع تطوير أوضاع المدارس وصيانتها من القضايا الملحة في مصر، خاصة مع وجود مجموعة من العوامل، مثل: النمو السكاني، وغياب المساواة الاجتماعية، والتحول المتسارع إلى الحياة الحضرية، وندرة الموارد المالية، والإهمال الخاص بتصميم وتنفيذ السياسات، والمواقف الثقافية، والكوارث الطبيعية؛ وهي كلها عوامل ساهمت في تفاقم مشكلة تدهور المدارس. ولم تبرز حتى فترة حديثة، سوى جهود فاترة من قبل الهيئات التنموية الدولية، والمنظمات غير الحكومية، والحكومة في اتجاه تأكيد أهمية التركيز - من حيث التفكير واتخاذ التدابير - على ضرورة تطوير أوضاع المدارس. لقد توالى سلسلة من الأحداث المؤسفة في المدارس، بما في ذلك انهيار حائط مدرسة ابتدائية بالقاهرة (١٩٩٩)، مما تسبب في وفاة أربعة أطفال وإصابة ١٩ طفلاً، وهو ما جعل قضية تدهور أحوال المدارس في مقدمة

القضايا الوطنية فقد خصصت وزارة التربية والتعليم ميزانيات إضافية لصيانة المدارس، كما رحبت بإبرام علاقات شراكة مع المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية، ومع المجتمعات المدرسية والأهالي بهدف تقييم احتياجات المدارس العامة.

وبينما لم يحظ الأهالي، وأعضاء المجتمعات المدرسية، والمنظمات غير الحكومية، في الماضي سوى بفرص محدودة للمشاركة فيما يتعلق بالمدارس العامة، فقد برز في السنوات الأخيرة في مصر اتجاه نحو إضفاء مزيد من الديمقراطية على النظام التعليمي. إن القرارين الوزاريين رقما ٥ لعام ١٩٩٣، و٤٦٤ لعام ١٩٩٨، المتعلقين بمجالس الآباء ومجالس المعلمين، قد أتاحا الفرصة أمام أهالي الطلاب لرصد نوعية التعليم، وتقديم المنح النقدية أو العينية، وإدارة بعض جوانب العملية التعليمية لضمان توافر "مناخ ديمقراطي داخل المدارس" (المركز القومي للبحوث التربوية والتنموية ٢٠٠١: ٢٠). كما تم تأسيس مجلس الأمناء كجزء من الهيكل التعليمي الرسمي للإشراف على مبادرات الأهالي في المدارس. وفي الاتجاه نفسه، وكمحاوله لتوفير الدعم والخطوط الإرشادية للمنظمات غير الحكومية حول المبادرات المتعلقة بالمدارس، أسست وزارة التربية والتعليم في عام ١٩٩٨ إدارة المشروعات التعليمية النابعة من مبادرات المنظمات غير الحكومية (المركز القومي للبحوث التربوية والتنموية ٢٠٠١: ٢١). لقد أثبتت المبادرات المبنية على المشاركة إنها تتناسب إلى درجة كبيرة مع عملية جعل البيئة التعليمية بيئة ديمقراطية.

تقوم المشروعات التعليمية المبنية على المشاركة بجمع الجهات المعنية؛ أي التي تضم كلاً من

المتطوعين المنتمين إلى المجتمع المحلي أو الحي، وأهالي الطلاب، وأعضاء المنظمات غير الحكومية (الذين لا ينتمون بالضرورة إلى فئات إقصائية فيما بينها) في عملية "بحث مشترك، وتعلم، وتبني لإجراءات تتعلق بمشاكل ذات أهمية مشتركة" (Brown, 1985 : 70) وقد بدت لنا هذه المدرسة الإعدادية للبنات مناسبة تماماً لتكون مسرحاً للعمل، وفقاً لمقاربة مبنية على المشاركة؛ ويعود ذلك جزئياً إلى الأبعاد النوعية التي تتضمنها هذه الحالة. لقد برزت قضية الإنصاف في مجال النوع خلال العقود الثلاثة الماضية، باعتبارها قضية محورية للمخططين التربويين على الصعيدين الوطني والدولي. وقد تضمنت السياسات التعليمية التي تستهدف تحقيق هذا الإنصاف تنامي فرص البنات للانضمام إلى المدرسة، وتدريب المعلمين على فهم قضايا النوع، وتطوير المناهج لتفادي التنميط السلبي على أساس النوع، وتقديم الخدمات الداعمة للفتيات المحرومات. كما ظهرت استراتيجيات أخرى، تؤكد أهمية توفير التدريب المهني للنساء، بالإضافة إلى تطوير مهارتهن الإدارية والقيادية (Stromquist 1997 : 206-207)

وبإيجاز، فإن هذه المبادرة الريادية التي تحمل اسم "تبني مدرسة" تشد الانتباه إلى الإمكانيات والتحديات المرتبطة بعملية التنمية بالمشاركة، خاصة في المدارس العامة. وهي تبحث في كيفية مساهمة تدخلات المجتمعات المحلية في التخفيف من الأعباء التي تثقل الجهاز التعليمي للدولة، وفي الوقت نفسه تتقدم بنموذج تعليمي يحمل مبادئ الديمقراطية، والمواطنة، والإنصاف في مجال النوع. كما يتضمن هذا النموذج السعي إلى خلق المساحات المتاحة أمام مشاركة الشباب، في اتخاذ القرارات، والتدخل بطريقة إيجابية في عالمهم. وأخيراً، يبحث هذا النموذج في الطرق التي تمكن الممارسين، والباحثين، والإصلاحيين من ممارسة ما يسميه ماكسيم جرين "التعلم الإيجابي"، من خلال التحرك فيما هو أبعد من المفاهيم المحددة "للتعلم بالمدرسة" للانطلاق إلى "المجالات الأوسع للتعليم التي تتضمن - ويجب أن تتضمن - كل أشكال الانفتاح أمام الفرص المتاحة (Greene 1995 : 5).

منظر امامي لاحد الفصول

١. إفراط في الاستخدام وضغوط عالية: حالة مدرسة حضرية تعمل فترتين

الطالبات يصلن صباحاً إلى المدرسة

بعد فترة قصيرة من قيام حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ في مصر (والتي يشار إليها أيضاً "بالثورة الاشتراكية")، تمت مصادرة عدد لا حصر له من المساكن الفخمة، التي كان يمتلكها الأرستقراطيون، ورجال الأعمال، والمستعمرون، وتم تحويل هذه المساكن إلى مدارس عامة. تم ترميم أحد هذه المساكن وتحويله إلى مدرسة ثانوية للبنات، وهو عبارة عن فيلا فخمة، شيدت في بدايات القرن، وكانت تقطنها إحدى الأميرات. وكانت هذه المدرسة قد شهدت تحولاً آخر في بداية السبعينيات، حيث أصبحت مدرسة إعدادية للبنات. وتم إدخال تغييرات متعددة على المبنى ليتلاءم مع الجمهور الجديد الذي يتردد على المدرسة، فتم نزع الثريات البلورية المزخرفة واستبدالها بلمبات تتدلى عارية من السقف. كما طليت الجدران بألوان غامقة تتراوح ما بين اللون الرمادي، والبني، والبيج. وتم اقتلاع عدد من الأشجار المزدهرة الموجودة في الحديقة، وملء حمام السباحة الرخامي - الذي ما زال إفريزه الجميل ظاهراً تحت أكوام التراب - بالأسمنت، لتوسيع مساحة فناء المدرسة.

كما تم بناء مبنى مربع أسمنتي إضافي، يتكون من طابقين، ويقع في الجانب الخارجي للفناء بمواجهة الشارع. ويتباين المبنى تماماً مع التصميم الأنيق للفيلا، ذات الأرضيات والعواميد المصنوعة خصيصاً من الرخام الإيطالي، والدّرج البلوطي المنحني، والحلي المعمارية البارزة، والنوافذ الزجاجية المصبوغة. يتضمن المبنى الأسمنتي ١٤ فصلاً، طليت جميع جدرانها باللون الرمادي في النصف الأسفل، واللون الأبيض في نصفها الأعلى. أما الفيلا، فهي تحتوي على ثمانية فصول، بالإضافة إلى المكاتب الإدارية، والمكتبة، وحجرات الحاسب الآلي، والإعلام، والبيئة، والتدبير المنزلي.

تعمل هذه المدرسة فترتين، على غرار عديد من المدارس في مصر؛ فنتيجة ضغوط الكثافة السكانية علي نظام المدارس العامة، أصبحت هناك نسبة كبيرة من المدارس التي تعمل فترتين وأحياناً ثلاث فترات يومياً، باعتبارها مدارس منفصلة. ففي القاهرة تعمل ٥٤٪ من المدارس الابتدائية و٦٤٪ من المدارس الإعدادية لأكثر من فترة، وتتناسب هذه الأرقام إجمالاً مع المتوسط القومي (وزارة التربية والتعليم ١٩٩٧). أما المدرسة التي تعيننا، فكانت تعمل باسم مدرسة الزهراء للبنات في الفترة الصباحية (٦:٤٥

صباحاً - ١٢:٠٠ ظهراً)، وباسم مدرسة أميرة للبنات في الفترة المسائية (١:٠٠ ظهراً - ٦:٠٠ مساءً).^٤ كما كانت المدارس تتبادل الفترات في منتصف العام لدواعي الإنصاف، فكانت مدرسة أميرة تعمل حينذاك في الفترة الصباحية، بينما تتحول مدرسة الزهراء إلى الفترة المسائية. وبالإضافة إلى تغيير اسم المدرسة مع كل فترة دراسية، كان هناك تغيير كامل على مستوى إدارة المدرسة، والعاملين بها، والطالبات، بما في ذلك الاختلاف في الزي المدرسي. هذا بينما كان البواب وفراشة واحدة هما العنصران الوحيدان المشتركان بين الفترتين الدراسيتين.^٥

كانت كل مدرسة (أو فترة) تضم ما يقرب من ١٥٠٠ طالبة، بحيث يصل إجمالي الطالبات اللاتي يقصدن المدرسة يومياً إلى ٣٠٠٠ طالبة. وبينما يصل متوسط حجم الفصل في مصر إلى ٤١ طالب/ة، فإن حجم الفصول في هذه المدرسة كان يتعدى بكثير هذا المتوسط، ليصل إلى ما يقرب من ٨٠ طالبة في الفصل الواحد (المركز القومي للدراسات التربوية والتنمية ١٩٩٦). وهكذا كانت الفصول تكتظ بالفتيات بما يفوق قدراتها الاستيعابية بكثير، مما جعل ثلاث طالبات أو حتى أربع يتقاسمن - أحياناً - المكتب المخصص لاثنتين فقط.

ونظراً للاستعمال المكثف للمكان، كان من الحتمي أن تبلى الفصول والأدوات. غير أن ثمة بعض الأمور التي كانت تهدد بالفعل السلامة العامة - الجسدية والنفسية - لمجتمع المدرسة. فقد كان هناك ما يقرب من ١٢٠٠ طالبة يحضرن في المتوسط إلى المدرسة فيصعدن ويهبطن على الدرج الرئيسي الدائري عدة مرات في اليوم، وقد كانت درجات السلم في حالة متهاكة، بل كان بعضها ساقطاً في بعض المواضع. وعلى الرغم من عدم وجود خطر مباشر، إلا أن هذه السلالم كانت تحتاج إصلاحات سريعة. أما السلم المظلم المؤدي إلى الفصول الواقعة تحت سطح الأرض، والذي تستعمله يومياً ٤٠٠ فتاة، فقد كان هو الآخر في حالة مزرية؛ فمن شأن الأرجل أن تنزلق بين الدرجات المتهاكة تماماً في بعض الأماكن، أو حسب تعبير إحدى المعلمات كان هذا السلم عبارة عن "قنبلة موقوتة".

منظر الفيلا من الداخل

كما ساهمت بعض العيوب الأخرى في المبنى - أو من شأنها أن تساهم مستقبلاً - في إحداث إصابات، ومشكلات، ومخاطر صحية، إضافة إلى انتشار جوعام من الكآبة. أما الأرضيات المبلطة للفصول والممرات، فكانت مائلة ومتعرجة، نتيجة سنوات طويلة من الاستهلاك. وكانت قد تسببت مؤخراً في انزلاق معلمة وكسر ساقها. كان الضجيج الخارجي يسبب

اضطراباً أثناء الدروس حيث إن أبواب الفصول لا تنغلق بإحكام. وكانت الرياح الباردة تنساب من النوافذ المكسورة، وتتسبب في إصابة الطالبات بنزلات البرد. كما افتقدت الفصول الواقعة تحت سطح الأرض التهوية المناسبة، أو المراوح، مما جعل الفصول المكتظة مراعى محتملة للأمراض المعدية. أما الإنارة فهي غير كافية في معظم أماكن الفصول؛ فكانت تتم إضاءة عدد من الفصول بواسطة لمبة واحدة، كما كانت الإنارة منعدمة في بعض الممرات. أما فيما يتعلق بالفصول، فلم يتمكن أحدنا من إفادتنا بآخر مرة تم فيها طلاء جدرانها، غير أن مظهر هذه الجدران كان شاهداً على مرور أعوام طويلة، بل ربما عقود من الإهمال. لقد كانت الجدران الملطخة المائلة إلى اللون الأخضر أو البني الغامق تحمل ثقوباً أحدثتها مئات الأظافر، والدبابيس، والمسامير. في بعض الفصول، قامت التلميذات بتثبيت ورق ملون على الجدران يحمل رسومات الدببة الصغيرة، وبالونات أعياد الميلاد، في محاولة لتوفير جو أكثر دفئاً إلى حد ما.

داخل أحد الفصول

أما المراحيض، فقد مثلت أفزع مثال للإهمال؛ فمن أصل ثمانية مرحاض، كانت هناك خمسة مراحيض غارقة في مياه الصرف، كما لم نجد مرحاضاً واحداً سليماً أثناء أول زيارة للجنة الثلاثية المشكلة من أعضاء الحي المحيط بالمدرسة. كان نظام السباكة معطلاً، وكل صنابير تدفق المياه مكسورة، والأرضيات ملطخة بمياه الصرف.. تلك هي المراحيض الوحيدة التي كانت متاحة أمام ٣٠٠٠ مراهقة، يحضرن إلى المدرسة يومياً، أي بمعدل مرحاض واحد (لا يعمل) لكل ٣٧٥ طالبة.

وبسؤال الإداريين في الفترتين الدراسيتين حول أسباب تدهور المكان إلى هذا الحد، أشاروا إلى صعوبات تتعلق بالنواحي المالية، وبالخلفية الاقتصادية والاجتماعية للطالبات.. ذلك أن الميزانية المخصصة لصيانة المدرسة لم تكن لتسمح سوى بتوظيف فراشة واحدة طوال الوقت. وهو الأمر الذي حال دون

داخل احد الفصول

قدرتها على تلبية الأعباء الثقيلة، التي يتطلبها تنظيف أرضيات المدرسة وحدها. وبالإضافة إلى ذلك، كان مرتبها يبلغ ٩٠ جنيه شهرياً (٢٧\$)، وكانت تعاني من مشاكل صحية، بالإضافة إلى إنها كانت حاملاً في شهرها الثامن، عند أول زيارة لنا. وشرح لنا الإداريون - الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى - أن الطالبات تأتي أساساً من خلفيات اجتماعية محرومة، وأنهن يعشن في مناطق لا تتوافر فيها وسائل العيش الحديثة، ولم تتم تنشئتهن على قيم العناية بالملكية العامة واحترامها. وعلى سبيل المثال، أشار ناظر المدرسة أنهم يؤسوا من إصلاح المراحيض، لأن البنات لا يكثرن بالتنظيف بعد قضاء حاجتهن، كما أنهن يجهلن الاستعمال السليم لصنابير تدفق المياه.

غير أن بعض المعلمين قدموا تفسيراً مختلفاً للوضع حينما ضغطنا عليهم، لمعرفة أسباب إهمال المكان. فقد دافعت بعض المعلمات الشابات - على وجه الخصوص - بأن الطالبات لسن مصابات بعيوب اجتماعية وثقافية لا

يمكن التخلص منها، بل يمكنهن تعلم كيفية العناية بالبيئة المحيطة بهن. وأكد أن هناك حاجة إلى تطوير وإصلاح بعض الخصائص الأساسية للمكان، حتى يستحق العناية به.

حينما تم التأكد من وجود الحاجة والرغبة في تحسين الأوضاع المادية في المدرسة، شرع المتطوعون من الحي ولجنة المنظمات غير الحكومية في التحري عن إمكانية تدبير الموارد، وعقد علاقات الشراكة، بهدف إجراء تدخل تجريبي مبني على أساس المشاركة. فقامت إحدى عضوات لجنة المنظمة غير الحكومية بتدبير مبلغ ١٠.٠٠٠ دولار، يسمح باستخدام لأي غرض يساهم في النهوض بأوضاع المدرسة. غير أن البدء في تطبيق المبادرة تطلب أولاً الحصول على موافقة مسبقة، واكتساب دعم الفاعلين المحوريين في المؤسسة التعليمية.

٢. الشراكة القائمة على أساس المشاركة

على (الباحث المتطلع إلى التغيير) الالتزام بمواكبة عملية البحث القائمة على أساس المشاركة حتى نهايتها، وتفاذي الأفعال التي تعرض أعضاء المجتمع للخطر، وتبني نظرة واضحة، ودعم وضع المجموعات التابعة داخل هذا المجتمع..ومن شأن الباحث تقديم مساهمة مهمة.. من خلال توفير المعلومات الجديدة، والمساعدة في تدبير الموارد المالية من أجل التنمية أو تطوير المهارات الفنية.

Budd Hall

*Participatory research, popular knowledge
and power: A personal reflection*

الطالبات يغادرن المدرسة

على الباحث المتطلع إلى التغيير الذي يعمل مع المدارس التابعة للأنظمة المركزية - كالنماذج التي نجدها في مصر - أن يكون لديه فهم متعمق للهيكل البيروقراطية والإدارية التي تعمل في إطارها هذه المدارس، بالإضافة إلى التحلي بصفات الالتزام، والمرونة، ووضوح الرؤية، والنوايا الحسنة، والقدرة على تدبير الموارد

والحصول على المعلومات داخل المجتمع. هناك سوء فهم شائع - خاصة في المقاربات الخاصة بالتعليم، والتي تتوجه إلى المستوى الاقتصادي الكلي - مفاده أنه يتم تصميم كافة جوانب العملية التعليمية في مكاتب مركزية، ثم إدارتها بطريقة آلية على المستوى المحلي للمدرسة. إلا أننا نعلم من خلال التفكير المنطقي، ومن خلال بعض الدراسات الكيفية حول التعليم، أن هناك مساحات للتحرك متاحة لتدخلات المجتمع في الحياة الثقافية للمدرسة، حتى داخل الأنظمة التعليمية المركزية، على أن تجري هذه التدخلات في إطار هيكل إشرافي، وأن تكون ملائمة للسياسات العامة.

إن إمكانات إنجاز المشروعات، وتوفير الحماية لكل المشاركين في الأنظمة المركزية المثقلة بالهيكل البيروقراطية، تتطلب تحرك أي مبادرة خارجية من خلال القنوات السليمة. وتحتاج أي عملية تتعلق بالمدارس العامة، إلى الحصول على موافقة ودعم ما لا يقل عن ثلاثة أشخاص هم: ممثل وزارة التعليم، ممثل قطاع التعليم على مستوى المديرية، وناظر أو ناظرة المدرسة. ومن الأهمية بمكان إعلام أي ممن ينتمون إلى هذه المستويات الثلاثة - بدءاً بممثل وزارة التعليم - كتابة بأهداف المبادرة (حتى وإن كانت في طور المحاولة)، وأسماء كل من هم من خارج المدرسة ويرغبون الانضمام للمشروع، ومصادر تمويل هذا المشروع. وفي حالتنا قام ثلاثة أفراد بالموافقة، وإضفاء الشرعية، ودعم، وتوجيه النواحي المختلفة لهذه المبادرة، وهم: وكيل وزارة التعليم الذي قدم الموافقة الرسمية على إنجاز المشروع،

ومشرفة على التعليم بالمنطقة، وناظر الفترة الليلية للمدرسة.

لقد عملت مشرفة المنطقة لدراسات البيئة - والتي سنشير إليها باسم السيدة عليّة - كضابط اتصال مع الوزارة، وكانت مسؤولياتها تتضمن التأكد من أن المشروع يظل في إطار أهدافه المعلنة. لقد كان وجودها مفيداً، خاصة في المراحل الأولى للمشروع، حيث أصبحت تفهم تماماً مبادئ العمل بالمشاركة، بل وتدعم هذه المبادئ. فقامت في أحيان كثيرة - أثناء اللقاءات مع المعلمين والإداريين بالمدرسة - بتقديم الشرح، بطريقتها الحيوية المتميزة، عن لب وروح المشروع. غير أنها لم تتمكن من التدخل في عملية اتخاذ القرارات اليومية، أو في التطبيق العملي للمشروع، نظراً لالتزاماتها العديدة وتحملها لمسؤولية ٥٠ مدرسة أخرى، ولكنها كانت بمثابة القوة التي أضفت المشروعية لهذه المبادرة.

كان السيد مصطفى، ناظر مدرسة أميرة، تربوياً شديداً للالتزام، في نهايات العقد الخامس من العمر. وقد قام بالتعاون مع المتطوعات الثلاث بالإشراف على المصروفات المتعلقة بميزانية المشروع. كان السيد مصطفى يعاني من بعض المشاكل الصحية أثناء فترة تنفيذ المشروع، ويخضع لعلاج كيميائي، إلا أنه كان يحضر يومياً إلى المدرسة، ويتابع كافة الأمور المدرسية بكل اجتهاد. لقد عرضنا عليه بإسهاب مفهومنا للمقاربة التنموية المبنية على المشاركة، وأملنا في إشراك المعلمين والطالبات في كل مراحل هذه المبادرة. كان يستمع إلينا بأدب جم، ويومئ برأسه مشيراً إلى الموافقة، غير أنه كان لا يكف عن تقديم القوائم المكتوبة بخط يده، حول الأماكن التي تحتاج إلى إصلاحات، مقرونة ببيانات أسعار متعلقة بخدمات الفنيين. وقد حاولنا بكل صبر إقناعه بأهمية تشجيع المعلمين والطالبات، وإشراكهم في عملية تحديد المشكلات، وإيجاد الحلول لها. وفي حين لم يكن السيد مصطفى بعد مقتنعاً تماماً بأن المشاركة هي أكفأ وسيلة لإصلاح المدرسة، فإنه - مع مرور الوقت، وإجراء عديد من المناقشات الودية معه، وتقديم بعض التنازلات من الجانبين - فتح أمامنا المجال للعمل مع أعضاء هيئة التدريس ومع الطالبات، كما أذن لهم بالتعامل معنا.

طريق العودة الى المنزل

أما السيدة نادية، ناظرة الفترة المدرسية الأخرى، فلم تكن متحمسة للمبادرة. وكانت تؤكد أن أي نشاط يشغل بال الطالبات عن دراساتهم هو مضيعة للوقت وعلى الرغم من محاولات المتطوعات والسيدة عليّة لإقناعها بالمحاولة - على أقل تقدير - ظلت السيدة نادية غير مستجيبة للأمر. وقد

أخبرتها السيدة عليّة، بصفتها المتحدثّة باسم الوزارة، أنّه على الرغم من عدم قناعتها بأهداف المشروع، إلّا أنّها ملزمة بالتعاون معه. ومن المؤسف أنّ لجنة المنظمة غير الحكومية لم يكن أمامها خيار سوى العمل مع شريك غير راغب في ذلك.

التجمع الصباحي

الطالبات في الحي

٣. النوع في مكان العمل

من الواضح انني مهتم اهتمامي بجعل مجتمعنا أكثر تعاطفاً، وواهباً للرعاية.. غير أنه من الصعب القول بأن النساء أفضل من الرجال في تغيير الأمور. فلو تعلق توفير العناية بالأمومة فقط، لاصبح المستقبل أمراً صعباً فهناك رجال كثيرون يتمتعون بالقدرة نفسها. ويتعلق شق كبير من هذه المسألة بالإطار المحيط والتنشئة، أو حتى بالطبقة الاجتماعية.

Maxine Greene

Education, Power, and Personal Biography

بعد أن حصلنا على التصريحات اللازمة، وأجرينا الاتصالات مع العاملين بالوزارة الذين سيشفرون على تطبيق المبادرة، بدأت لجنة المنظمة غير الحكومية في العمل بطريقة أكثر كثافة داخل المدرسة. قام الناظر ومشرفة القطاع بعقد اجتماعات عامة، ضمت جميع العاملين بالمدرسة، لإجراء مناقشات جماعية حول الاتجاهات المحتملة للمبادرة. وقد عقد أول هذه الاجتماعات وجلسات العصف الذهني أثناء الأجازة الصيفية للطالبات، حيث كان على المعلمين الحضور يومياً إلى المدرسة. وبما أن مواعيد العمل تصبح أكثر مرونة خلال الصيف، فإنه كان من السهل التنسيق لعقد اجتماعات مشتركة مع المعلمين، الذين ينتمون للفترتين الدراسيتين، وهو الأمر الذي كان سيصعب إنجازه خلال الفترات التالية.

لقد كانت هذه الاجتماعات العامة بمثابة منتدى للمعلمين، يعبرون فيها عن همومهم حول المدرسة، ويبحثون عن حلول ممكنة وقابلة للتنفيذ لمواجهة المشاكل الموجودة، ويضعون الأولويات لبنود إنفاق الميزانية. وقد ظهر منذ الاجتماع الأول استقطاب ملفت للنظر بين النوعين: فبرزت الثنائية التقليدية بين العام والخاص، وإذ بالمعلمين الذكور مهتمون بشدة بصورة المدرسة، ومظهرها الخارجي، بينما انصب اهتمام المعلمات أساساً على الفضاء الداخلي للمدرسة، وأثره على الطالبات وعلى زملاء.

لقد تضمنت الإصلاحات التي طالب بها الذكور - بدءاً من أصغر المعلمين سنّاً ووصولاً إلى الناظر - طلاء الأسوار الخارجية، وإصلاح النوافذ المطلة على الشارع، وطلاء الجدران الخارجية لكل المباني. وقد دافع الناظر عن هذا المنطق الذي عرف بالمنطق "الذكوري" بالكلمات التالية: "إن الناس يشاهدون المنظر الخارجي، الذي يمكن حمايته بشكل أفضل من الجدران الداخلية. ففي الداخل تقوم البنات بوضع أياديهن على كل شيء وتدمير كل شيء. وعلى كل الأحوال، فإن عدد من يشاهدون المدرسة من الداخل أقل بكثير ممن يشاهدونها من الخارج". وفي المقابل، كانت أولويات النساء مختلفة بطريقة جذرية، فعبرن عن قلقهن فيما يتعلق بالصحة، وإجراءات الأمان، وصحة الطالبات والمعلمين. كما أشارت النساء إلى خطورة حالة السلم الخشبي الدائري، والمراحيض المعطلة، والنوافذ المكسورة، ونقص الإنارة، وغياب التهوية الكافية في الفصول. أما لجان الطالبات، فقد كانت أوليتهن الأولى - حينما شاركن لاحقاً في عملية صنع القرار - هي إصلاح الفصول.

بعد مضي شهور من الاجتماعات والمفاوضات بين لجنة المنظمة غير الحكومية، ومشرفة القطاع،

وهيئة التدريس، والطالبات، تم التوصل إلى خطة عمل وسطية، أي: يتم استعمال التمويل في طلاء الجدران الخارجية، والفصول، واستبدال النوافذ المكسورة، وإصلاح السلم الخلفي، وتطوير الدائرة الكهربائية لتوفير إضاءة أفضل على امتداد المدرسة، وإصلاح أبواب الفصول. كما اتفق على استعمال الدعم الإضافي، الذي توفره وزارة التعليم لإصلاح المراحيض التي تم تجديدها تماماً. بعد التغلب على صعوبات الاتفاق على خطة عمل، برز التحدي الجديد في تعبئة المتطوعين اللازمين لإنجاز هذه الخطة.

التزاحم في المدرسة

٤. مشاركون غير راغبين في المشاركة

من المستحيل جذب الناس إلى أداء أي عمل دون التحلي بصبر كبير.. حيث إن المصلح هو الذي يتطلع إلى الإصلاح وليس المجتمع، الذي لا يجب أن ننتظر منه غير المقاومة، والكراهية، وفي بعض الأحيان الاضطهاد القاتل. لماذا لا ينظر المجتمع إلى التردّي بالنظرة نفسها التي يحملها المصلح، والتي تجعله يعتبر مقاومة هذا التردّي أهم شيء في حياته؟

Mohandas K. Gandhi

An Autobiography: The Story of My Experiment with Truth

على المستوى المثالي، من المفترض أن تنبع التنمية بالمشاركة من حركة عضوية داخلية؛ أي من داخل القرية، أو المجتمع المحلي، أو المصنع، أو المدرسة. إلا أن في حقيقة الأمر، يدخل المصلحون إلى هذه المجتمعات، حاملين مفاهيمهم المتصلبة حول ما يجب عمله، وكيف يجب عمله. وفي هذه الحالة كانت هناك لجنة المنظمة غير الحكومية المشكلة من ثلاث نساء أجنبيات مقيمات بالقاهرة منذ فترة طويلة، في الحي المحيط بموقع المدرسة، ويمتلكن خبرة مسبقة بالأنشطة الدفاعية والتنموية. لقد كنا نحمل رؤى مثالية حول العمل الجماعي الذي يضم الطلاب، والمعلمين، والمقيمين الآخرين بالحي، والذي يتم على مدى عدد من عطلات نهايات الأسبوع، ويتضمن طلاء الفصول، وتبليط الأرضيات، وتزيين الجدران الخارجية للمباني، والتخلص من الأعشاب الضارة، وزراعة الحقائق. كما تخيلنا أننا سنتمكن من تطوير علاقات الشراكة مع الطالبات والمعلمين الذين يشاركوننا الحماس نفسه. لا داعي هنا للقول بأن العملية لم تتطابق تماماً مع تصوراتنا المسبقة.

ففي حين كان المعلمون متطلعين للمشاركة في جلسات العصف الذهني والتخطيط، التي كانت تعقد أثناء ساعات العمل، تردّدوا في الاندراج في أية أنشطة قد تضيف أعباءً جديدة على جدولهم. فكان ٨٠٪ من المعلمين الذين يدرسون المواد الأساسية يعملون ساعات إضافية، بعد مواعيد المدرسة في تقديم الدروس الخاصة، وهي ممارسة واسعة الشيوع في مصر. كما كان هناك من يعمل في وظائف أخرى متنوعة لتعويض الرواتب الرديئة التي يتقاضونها، والتي تصل إلى ٣٠\$ شهرياً (Herrera 1992 : 82). وغالباً ما كانت تقع على النساء اللاتي لا يعملن ساعات إضافية مسئولية رعاية الأطفال، والإيفاء بالأعباء المنزلية التي تنتظرهن عند الرجوع إلى المنزل. وبناء على كل هذه الالتزامات وتدني الأجور، لم يكن هناك سوى عدد ضئيل من المعلمين المستعدين للتطوع بوقتهم، فيما يتعدى جلسات المناقشة التي تتم أثناء أوقات العمل.

لقد كان على مشرفة القطاع وكبار الإداريين اللجوء إلى خدمات أربعة معلمين في التدريب المهني، لمواجهة ندرة التطوع بين المعلمين الآخرين. وكان هؤلاء الأربعة شباباً في بداية العشرينيات، غير متزوجين، وخريجي مدارس فنية ثانوية تدرس مادة "الصيانة". ومن المتوقع أن يحمل معلمو مادة الصيانة معرفة نظرية وعملية جيدة بصيانة المباني والأرضيات.

كما بينت المناقشات مع كبار الإداريين أنه تم اختيار مدرسي الصيانة لأسباب تتعلق بالطبقة والجنس. فقد شرح لنا الناظر أنهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية أدنى من تلك التي ينتمي إليها معلمو المواد الأساسية، وهم بالتالي أكثر احتياجاً إلى المكافأة التي سيتم صرفها لهم، مقابل المجهود الذي

سيقدمونه في إطار هذه المبادرة.^١ كما تم اعتبارهم أنسب من غيرهم للقيام بمهام الطلاب والإصلاحات، نظراً لأنهم رجال. ومن هنا، كان الإداريون يعمقون أشكال التنميط على أساس النوع أو الطبقة، وهي أمور كانت تأمل لجنة المنظمة التغلب عليها. وعلى الرغم من ذلك، رفض مدرسو التدريب المهني التعامل مع أي من جوانب المشروع، كما رفضوا القيام بالمهام التحضيرية، مثل رفع مقاسات الفصول، أو تجميع بيانات أسعار للمواد اللازمة.

يعاني التدريب المهني من تدني مرتبته في سلم التعليم الرسمي. ويشير (Al Hetti & Brock 1997) في مناقشتهم للتدريب المهني في الأقطار العربية إلى أن المجتمعات العربية، قد شهدت فترات طويلة من الانحياز الثقافي المعادي للعمل اليدوي، وهي النظرة التي امتدت لتنطبق على التعليم المعني بالمهن اليدوية؛ إذ يتم استبعاد الطلاب ذوي الأداء المتدني أو المنخفض عن المعايير المطلوبة من مجال التعليم العام، لتوجيههم إلى التدريب المهني أو الفني الذي لا يحظى بالمكانة نفسها، مما يؤكد مرة أخرى وضعهم الأدنى. وهكذا.. فإن معلمي التدريب المهني الذين لا يحملون شهادات جامعية، بل هم حاصلون فقط على شهادات من مدارس فنية ثانوية، ويقومون بتوفير التعليم الفني مقارنة بزملائهم الذين يدرسون المواد الأكاديمية الأساسية، يقفون في أدنى مراتب السلم التعليمي داخل أي مدرسة عامة متوسطة، كما أنهم يتقاضون أدنى المرتبات.

لقد عبر معلمو التدريب المهني الأربعة بوضوح عن عدم رغبتهم المشاركة في المبادرة، خشية أن يؤدي ظهورهم أمام زملائهم والطالبات على هيئة عمال يدويين، إلى التقليل من شأنهم. كما أفاد أحد المعلمين عن خوفه من الالتزام بالمبادرة، الأمر الذي قد يجبره على طلاء الفصول بنفسه، وقال: "لا يمكنني مسك فرشاة بين يدي، لن أفعل ذلك. هذا ليس عملي، وقد تعديت هذه المرحلة ببعيد" كما أضاف أنه مستعد للإشراف على العمال، وتوجيههم، ولكنه لن يقوم بنفسه بالعمل.

وأثار مدرس آخر مسألة فقدانه لسلطته كمعلم، لورأته الطالبات وهو يؤدي أعمالاً يدوية "متدنية". وقال متوسلاً: "إنني مدرّسهم! لا يمكن أن يروني وأنا أقوم بأعمال النقاشة. كيف سينظرون إلي فيما بعد، عندما أقف أمامهم في الفصل؟ لن يشعروا بأي احترام تجاهي، وبالتالي لن تكون لدي أي سلطة عليهن". كما نبّه المعلمون إلى أن أهالي الطالبات لن يوافقوا على أن تقوم بناتهم بأعمال يدوية، غالباً بسبب الوضعية المنخفضة المرتبطة بهذه الأعمال. ولكن، من حسن الحظ أن هذه التصورات كانت غير صحيحة تماماً؛ فحينما آن الأوان للحصول على مشاركة الطالبات في أنشطة متعلقة بالتطوير خلال عطلات نهاية الأسبوع، أبدى الأهالي دعماً فائقاً للفكرة؛ فلم يكتفوا جميعاً بإعادة استثمارات الموافقة بسرعة، بل قام بعض الأهالي بالاتصال بالمدرسة للتحري عن أسباب عدم اختيار بناتهم.

وقد بدت التجربة، وكأنها في مرحلة من الجمود المؤقت بسبب رفض مدرسي التدريب المهني المشاركة في هذه المبادرة، فوافقت لجنة المنظمة غير الحكومية على مضمّن - تحت الضغوط التي مارسها كل من مشرفة القطاع والناظر من أجل إنجاز بعض التطوير على مستوى المدرسة - على التعاقد مع مقاول خارجي لإعداد وطلاء فصل واحد كنموذج، فقد كان هناك أمل في أن يؤدي أي تغيير ملموس إلى توليد مشاركة أكثر إيجابية من قبل المجتمع المدرسي.

طالما لم يدرك بعد الأطفال الممارسات الاجتماعية التي نقوم بها على أنها أمر حتمي، فإنهم لا يفهمون لم لا يستطيعون التصرف بطريقة مختلفة.

Terry Eagleton
The Significance of Theory

استعداداً للتعامل مع المقال الخارجي، عقدت لجنة المنظمة غير الحكومية عدة اجتماعات مع أعضاء هيئة التدريس لمناقشة مسألة اللون.. لقد كانت هذه الاجتماعات قصيرة بسبب التوافق شبه العام على أن يتم طلاء الفصل النموذجي باللون الرمادي. وبرزت أحياناً بعض المناقشات حول درجة اللون، وإذا ما كان ضرورياً طلاء الجدران بأكملها باللون الرمادي أم الجزء الأسفل منها فقط، وإلى أي ارتفاع يصل هذا الجزء السفلي. غير أنه لم يشر أي من أعضاء هيئة التدريس إلى إمكانية استعمال لون آخر غير الرمادي. فقد قيل لنا إن اللون الرمادي يمتص الضوء الساطع، وهو اللون النمطي المستعمل للفصول في مصر. وعلى الرغم من منطقية هذا التبرير، إلا أنه لم يفسر بطريقة واضحة تماماً الإجماع على غياب أية آراء بديلة حول اللون. إن القبول باللون الرمادي يعد - جزئياً - مؤشراً على كيفية استيعاب التربويين لطريقة التفكير التكنوقراطية، التي تقتل أي مبادرة للتغيير. وفي المقابل، كان الشباب يحمل قدرة أكبر على ابتكار وسائل جديدة للتفاعل مع البيئة المحيطة بهم، حيث إنهم لم ينظروا بعد إلى الأساليب القديمة، باعتبارها حتمية وغير قابلة للتغيير.

قام الناظر بترتيب زيارة المقال الخارجي وطاقمه في أحد أيام الجمعة - وهو يوم الأجازة الأسبوعي الوحيد للمدرسة - حتى يقوموا بتسوية الجدران وإعادة طلاء أحد الفصول. وكنا - أنا وسارة - من لجنة المنظمة غير الحكومية - بالإضافة إلى طالبتين - موجودات أيضاً هذا الصباح في المدرسة. لم نكن قد اتفقنا نهائياً بعد على مسألة اللون، ولكننا لم نندهش حينما وضع محمد لائحة نماذج لمائة لون فوق مكتب المدير، وقدم رأيه المهني مشيراً إلى لون الرمادي الفاتح: "ما رأيكم في هذا اللون؟". طلبنا أنا وسارة الإستعانة برأي آخر، وذهبنا إلى استشارة الطالبات، اللاتي كن بالانتظار في فصلهن بالدور الأسفل.. عرضنا على البنيتين البالغتين ١١ عاماً لائحة الألوان وسألناهما رأيهما في اللون الذي تفضلانه لجدران فصلهما. فحصت البنيتان الألوان، وتشاورتا بهمس، ثم أشارتا في حركة واحدة إلى اللون البنفسجي، وسألنا إحداهما: "هذا لون جميل. أليس كذلك؟" أثبتنا على هذا الاختيار من فرط ابتهاجنا بالابتعاد عن اللون الرمادي. سألنا الناظر إذا كان سيقبل الموافقة على هذا الاختيار، وقد أعطانا موافقته مصحوبة بهزة كتف ونصف ابتسامة.

في الصباح التالي، أحدث الفصل الجديد البنفسجي زوبعة داخل المدرسة، فقد شعرت الطالبات بابتهاج عظيم، بينما تدفق المعلمون لتفحص الفصل. لقد أضفى هذا الطلاء البنفسجي للجدران بريقاً أخاذاً للفضاء الداخلي، كما أحدث تغييراً مباشراً لإدراك أهمية المبادرة؛ فالمعلمون الذين أبدوا اهتماماً ضئيلاً في السابق بمبادرة التطوير، أصبحوا شغوفين بالاندراج في التجربة بطريقة أكثر إيجابية، بعد أن تعدت مرحلة المناقشات والاجتماعات والتخطيط؛ لتصل إلى مرحلة تشهد نتائج ملموسة تشير إلى الإمكانيات

المستقبلية المتاحة. وقد بدا واضحاً تماماً أن اللون يقوم بدور حافز للطالبات والمعلمين للمشاركة فيما يسميه باولو فرييري "التطبيق العملي"، أو التفكير والتأمل في العالم بهدف تغييره (١٩٧٠). فلو استطاع أحد أن يغير اللون الرمادي للفصول، فربما كانت هناك أوجه أخرى، يمكن تغييرها في مجال التعليم؛ وقد أصبح هذا المفهوم الآن في عالم الممكن. لقد تقدمت عملية المشاركة خطوات كبيرة، بمجرد أن سمح للطالبات بإبداء رأيهن فيما يتعلق بلون الفصل.

وحيث كانت الحماسة عالية، تم اختيار فصل ثان مباشرة لطلاء جدرانها. ففي أحد أيام الدراسة، قام فريق العمل بنقل المعدات والسلام الخشبية من الدور الأرضي إلى أحد الفصول الموجودة في الأدوار العليا، مما أدى إلى

إعداد الفصل الأول للدهان

الانتقال المؤقت لـ ٧٥ تلميذة إلى فناء المدرسة، حيث جلست البنات على مناضد خشبية مرتبة على هيئة مستطيل ذي ثلاثة ضلوع. انتهزنا فرصة وجودهن معاً، وقمنا أنا، ومحمد المقاول، وطارق أحد مدرسي الصيانة، بشرح أنه سيتم طلاء فصلهن ويمكنهن اختيار اللون. عند سماع هذا النبأ، ارتفعت الأصوات كما قفزت بعض الطالبات من أماكنهن يصرخن أسماء الألوان التي يريدنها: "أحمر" "أرجواني"، "شمشي" "أزرق"، "وردي"! وسرعان ما التف حشد من التلميذات اللاتي تعلقن بذراع محمد، الذي كان يحمل لائحة الألوان للنظر إلى الألوان عن قرب. نهر طارق الجميع، وطالب البنات بالجلوس، ثم قمت بأخذ لائحة الألوان، ورفعتها عالياً حتى

اليوم الأول في الفصل البنفسجي

تستطيع جميع البنات رؤيتها، مشيرة إلى الألوان المختلفة، وطلبت منهن رفع الأيدي للإشارة إلى اختيار لون معين. وهكذا قامت الطالبات بالتصويت، بتشجيع من إحدى مدرسات اللغة العربية التي أبدت حماساً شديداً (بينما كانت في السابق إحدى المدافعات عن اللون الرمادي)، والتي اقترحت - بناء على استشارة البنات لها - باختيار درجة معينة من المشمشي لأن "لون السلمون لون شيك قوي". وفي حين لم تتم عملية اختيار اللون بالنظام المفترض، إلا أن الطالبات كن في غاية السعادة لإتاحة الفرصة لهن للمشاركة في هذه العملية.

كما أصبح عدد من المعلمات أكثر استعداداً لتقديم الاقتراحات حول ألوان الفصول الأخرى؛ فبدلاً من الرمادي، طالبت هذه المعلمات بألوان، مثل: "البنفسجي"، و"المشمشي"، و"الوردي". وقالت إحدى المدرسات مشيرة إلى فصل بنفسجي اللون: "هل رأيتم كم أصبح هذا الفصل جذاباً، وواسعاً، ومضيئاً! هل يمكن طلاء حجرة الأنشطة باللون نفسه؟" كما سألت أخريات عن مكان شراء المقاول لهذه الألوان؛ لأنهن يردن طلاء إحدى حجرات منازلهن باللون نفسه. بعد مرور عدة شهور، ونحن نخطط لمرحلة ثانية من المبادرة تتضمن طلاء جدران المكتبة، اعترضت السيدة عليّة بشدة على طلب أمينة المكتبة أن يكون الطلاء باللون الأبيض، بينما كانت في السابق ضمن المنحازين إلى اللون الرمادي، قائلة: "أبيض! هل نحن في مستشفى؟ هل تودين أن تبدو المكتبة كالحمام؟" ثم جذبت السيدة عليّة أمينة المكتبة من ذراعها، ودفعتها داخل مكتب مشمشي اللون، وقالت لها: "انظري كم تبدو هذه الحجرة منعشة وظريفة. ألا تعتقدين أن هذا اللون سيليق بالمكتبة أفضل من الأبيض؟" وقد وافقت أمينة المكتبة على أن المكتب يبدو جميلاً، إلا أنها أصرت على أن الأبيض الناصع سيليق أكثر بالمكتبة.

وبالتوازي مع الاهتمام المتنامي بموضوع الألوان، برزت مجموعة مكونة من ست معلمات شابات، شاركن بنشاط والتزام متميزين في المشروع. كانت أعمار هؤلاء المدرسات تتراوح بين بدايات ومنتصف العشرينات، كما ضمت المجموعة مدرسات لمواد أساسية، مثل: الرياضيات والعلوم، إلى جانب مدرسات

الطالبات اثناء اختيار الالوان

أنشطة، مثل: الإعلام، والدراسات البيئية، والتدبير المنزلي، والفنون. فقد أبدين استعداداً للمشاركة في اختيار الألوان الخاصة بالمساحات العامة، مثل المداخل وحجرات الأنشطة، كما نظمن معسكرات العمل في أيام الجمعة.

وقد سألت هؤلاء المعلمات أثناء

الاجتماع التحضيري لأول معسكر عمل إذا كن سيشعرون بحرج، لو رأتهن الطالبات، وهن يؤدين عملاً يدوياً، مثل النقاشة أو التنظيف. وكان هذا السؤال يخص أساساً مدرسات الأنشطة اللاتي تتطابق خلفياتهن الاجتماعية وشهادتهن الأكاديمية مع أوضاع مدرسين التدريب المهني. وقد أبدت هذه النساء موقفاً مختلفاً تماماً، فقد هزت مدرسة الإعلام رأسها بشدة قائلة: "لا، على الإطلاق. إننا نفعل هذه الأشياء في بيوتنا، وحيث إننا نمضي وقتاً طويلاً في هذه المدرسة، فهي بمثابة بيت لنا، والبنات يفهمن ذلك". فحكيت لهن عن الشعور بالقلق الذي انتاب المدرسين الذكور من أن تراهن طالباتهم، وهم يقومون بعمل يدوي، وسألت المعلمات عن السبب - من وجهة نظرهن - في هذا الموقف المختلف، وكانت إجابة معلمة الإعلام: "إنهم رجال! ولهذا السبب يفكرون هكذا. ولكن لا تقلقي، اتركي الأمر لنا، إننا نعرف كيف نضع الفرشاة بين أيديهم": مما دفع المدرسات الأخريات إلى الضحك والتصفيق في لهو مشترك.

إن الأدبيات النسوية تزخر بالتحليلات التي تشير إلى التأثير السلبي للتعليم - بما يتضمنه من "منهج خفي" - على النساء من خلال إعادة إنتاج الفروق بين الجنسين، وتنميط النساء في الأدوار المنزلية وأدوار الأمومة (Bennett and Le Compte 1990; Stromquist 1990) أي إن هناك افتراضاً بأن جهاز التعليم الرسمي يميل إلى استمرار الثنائية الموجودة بين العام والخاص، والتي يتم فيها إعداد الرجال للحياة المهنية في الفضاء العام، بينما يتم تحديد النساء في أدوار تنتمي إلى الفضاء الخاص. وفي حين قد يكون ذلك صحيحاً في أحيان كثيرة، إلا أنه قد يكون صحيحاً أيضاً أنه حينما تضيفي النساء صفاتهن ومهاراتهن المنزلية على مكان العمل، فإن من شأن ذلك إثراء المجتمع المهني - المكون من النساء والرجال - إثراءً كبيراً.

٦. بين الفوضى والنظام ثقافة المدرسة ومعسكر العمل

لقد كانت الشوارع والمدارس مبنية (خلال الربع الثالث من القرن التاسع عشر في مصر) كتعبير وإنجاز لنظام فكري، وتماسك اجتماعي، ونظافة جسدية، وأصبحت تعتبر المطلب السياسي الأساسي للبلاد.. فقد تجسد الفضاء، والعقول، والأجساد في اللحظة نفسها، على هيئة اقتصاد مشترك من النظام والانضباط.

Timothy Mitchell
Colonising Egypt

في وصفه لنشأة "النظام الجديد" للتعليم في مصر، يعتبر تيموثي ميتشل أن المدارس ساهمت في تحقيق الانضباط السكاني. وقد تأثر في ذلك بأفكار (Michel Foucault 1977) إذ يرى أن التنظيم الصارم الذي تفرضه المدارس على الفضاء وإدارة الوقت - من خلال ممارسات، مثل صف المكاتب والطلاب في صفوف منتظمة، وتبني جداول زمنية صارمة - يساهم في خلق إحساس عميق بالنظام لدى الطلاب. وتشير الممارسة العملية إلى أن المدارس العامة قد نجحت اليوم جزئياً في إنجاز أهداف فرض النظام والانضباط، إلا أن هذا النجاح يظل غير مكتمل، حيث إن هذه المدارس قد تشهد - خاصة أثناء ممارسة الأنشطة غير الأكاديمية - مظاهر من الفوضى العارمة.

ولقد ظهر النظام والفوضى - بوضوح - في الحياة اليومية لمدرستي أميرة والزهراء؛ ففي الصباح، كانت الطالبات تصطف في صفوف منتظمة، ويتوجهن بخطوة عسكرية نحو فصولهن في طوابير متتالية، ويجلسن بطريقة مرتبة في فصول تتميز بالزحام الشديد، ثم يستمعن في هدوء نسبي إلى الدروس التي يتلقونها. إلا أن اللحظة التي يدق فيها الجرس مؤذناً بانتهاء الدراسة، كانت تشهد فوضى عارمة: فالبنيات ينطلقن نحو الأبواب الضيقة، التي كن ينحشرن فيها أحياناً دون إتاحة فرصة الخروج لبعضهن البعض، ثم يركضن على السلالم للنزول إلى الفناء، دافعات بعض ومتعثرات في الطرقات. كما كن يتزاحمن على هيئة نصف دائرة، حول بائع المأكولات في زاوية من الفناء، بدلا من الوقوف في طابور وانتظار دورهن لشراء وجبة خفيفة؛ بل كن يدفعن الأخريات بعنف، ملوحين بالنقود بأيديهن الممتدة نحو البائع، صائحات: "ده دوري أنا". غير أنه بمجرد سماع صفارة مشرف الفناء، كن يقذفن جانبا كيس البطاطس الخاوي أو غلاف البسكويت، ويركضن نحو الصف المخصص لهن؛ حيث يمكنن في هدوء، قبل الرجوع مرة أخرى بالنظام والانضباط نفسيهما إلى فصولهن. وهكذا كان سلوك الطالبات يتحول في لحظة - مع انطلاق صفارة، أو دقة جرس، أو سماع صوت أحد المدرسين - من الفوضى إلى النظام أو العكس.

ونظرا لإدراك كبار الإداريين لإمكانات حدوث الفوضى، فقد عبروا عن تحفظاتهم من إتاحة مساحة واسعة للطالبات في معسكرات العمل. كما كانوا مناهضين أساساً لفكرة قيام الطالبات بأنفسهن بطلاء الفصول، وقد شرحت ناظرة المدرسة الموقف بأن البنات سوف يحدثن فوضى كاملة في الحجرات، وأنهن سيقبلن الدنيا رأساً على عقب. كما كان السيد مصطفى قلقاً بشأن المخاطر، التي قد تهدد سلامة الطالبات، وكان معارضاً لتسلق البنات السلالم أو حمل الأواني المليئة بالدهانات. فوصلنا إلى حل

وسط، وقررنا أن العمال هم الذين سيقومون بمعظم أعمال الطلاء، والإصلاحات، بما في ذلك أعمال النجارة والكهرباء الأساسية. كما قررنا أن تقوم الطالبات بطلاء السبورات، وتلميع المكاتب، والسلام، والأطر الخشبية، والأبواب.

انعقدت معسكرات العمل على مدى ثلاثة من أيام الجمع مع تناقص قليل في كل مرة لعدد المشاركين. لقد شمل المعسكر الأول عشرة متطوعين من الحي، ومائة طالبة، و٣٠ معلمة ومعلمًا، إضافة إلى ٤ من أهالي الطالبات جاءوا من باب الفضول. وعلى الرغم من الأهمية الحيوية لأهالي الطلاب في حياة المدرسة، قررت لجنة المدرسة اكتساب مزيد من الخبرة حول آليات تطوير المدرسة قبل محاولة تعبئة الأهالي. وكان أغلبية المعلمين الحاضرين ينتمون إلى فترة الأستاذ مصطفى، إلا أن ثلثي هؤلاء لم يتمتعوا بالكفاءة اللازمة للقيام بالأعمال المطلوبة. كانوا قد جاءوا إلى المدرسة بملابس رسمية، وأمضوا الصباح في غرفة المدرسين، يحتسون الشاي، ويثرثرون مع زملائهم. كما ظهر عدد من المعلمين في ميدان العمل فيما بعد، فقط لأن ظهورهم سيمنح لهم فرصة الحصول على يوم أجازة في أي وقت، خلال الفصل الدراسي الحالي.

وكما كان متوقعًا، فإن أكثر أعضاء هيئة التدريس نشاطًا كانت مجموعة المعلمات الشابات، التي سبق الإشارة إليها. ولكن من المدهش أن اثنين من مدرسي الصيانة، ممن سبق أن انسحبوا من المشروع قد انضموا لاحقًا إلى المجموعة. فقد وفّت المدرسات بوعدهن، ونجحن في إقناع بعض الزملاء الرجال بالانضمام.. لقد تغيرت مواقف وسلوكيات المدرسين بطريقة جذرية مع وجود الزميلات تعملن إلى جانبهم كفريق واحد؛ فشاركوا بحماس في تلميع المكاتب، وأعمال الدهان، وتجميع القمامة المتناثرة على أرضيات المدرسة، في جو من المرح والتفريغ عند سماع صيحات التشجيع التي كانت تطلقها الزميلات. أما الطالبات، فقد أبدين حماساً زائداً نابعاً من القلب، وإن كان يولد أحياناً بعض الضجيج ويتسم ببعض الفوضى، وقمن بأعمال متعددة تراوحت ما بين مسح الأرض، وتلميع المكاتب والأطر الخشبية، والقيام بالطلاء، وتجميع القمامة وإعادة ترتيب المكاتب والأثاث. وبينما لم تقم معسكرات العمل على نظام من الانضباط الدقيق، إلا أنها أثمرت عن نتائج ملموسة واتسمت بروح الالتزام؛ خاصة من قبل الطالبات، فمن إجمالي مائة طالبة مختارة للمشاركة في معسكر العمل، وصلت ٩٩ منهن إلى المدرسة في الموعد المحدد.

كذلك كانت هناك بطبيعة الحال أوقات صعبة في التعامل مع حماسة البنات، حيث عقدت معسكرات العمل في عطلات نهاية الأسبوع، في جو غير رسمي، مما نزع إمكانية استعمال الوسائل المؤسسية المعتادة للحفاظ على النظام. وعلى الرغم من أن المعلمين ولجنة المنظمة غير الحكومية كانوا يعتقدون اجتماعات تحضيرية لتنظيم الأنشطة، فقد اكتسب المعسكر طابعه الخاص. ففي صباح أول أيام المعسكر على سبيل المثال، حاولت الأستاذة عزة، المسئولة عن الدراسات البيئية، الحفاظ على نظام البنات إلى حين وصول المدرسين الآخرين.. إلا أن البنات ظلوا في حراك دائم حتى قامت باختيار عشر بنات من المجموعة، للبدء معي في تلميع السلام الرئيسية. وقد تصاعدت صيحات السعادة من قبل تلك الفتيات المختارات، بينما أبدت الأخريات مباشرة احتجاجاتهن حول عدم عدالة هذا التصرف: "لماذا لا نستطيع أن نذهب معهن؟" وقد أكدنا لهن أنه سيتم التناوب على العمل، وأن الجميع سيأخذون فرصتهم

مع الفرشاة وأدوات التلميع. بعد عشر دقائق فقط من بداية عمل أول فوج من البنات في مسح ألواح السلالم الخشبية بطبقة لامعة من الورنيش، انطلقت مجموعة من البنات الأخريات فوق السلالم طالبات بصرخات عالية بأخذ دورهن في العمل. ثم تبعتهن مجموعة ثالثة من البنات تسلقن السلالم عدواً، مما تسبب في إحداث هزة بهذه السلالم. وبدأت الطالبات في خطف علب الورنيش، وانتزاع الفرش، والصياح: "إنه دوري! إنه دوري!". ونظرا لعجزني عن السيطرة على الموقف الذي بدا فوضوياً إلى حد خطير، انطلقت نحو غرفة هيئة التدريس الغارقة في دخان السجائر ورائحة الشاي، مطالبة العون. فهرولت ثلاث مدرسات أكبر سناً نحو السلالم، وسددن الصفحات على ظهور البنات، مرددات: "انزلن من هنا يا حيوانات!" صحيح أن بعض البنات انسحبن قليلاً، إلا أنهن سرعان ما عدن، فقررن إيقاف كل الأعمال، إلى أن يصبح هناك عدد كاف من الأفراد البالغين للإشراف على كل مجموعة، مكونة من عشر بنات.

في هذه الأثناء، وصل زوجان متطوعان من المقيمين في الحي، وهما أمريكيان الجنسية، في الخمسينات من العمر. كانا يرتديان ملابس قديمة، ومستعدين للبدء في العمل مباشرة، فتوجها إلى أحد الفصول حيث بدأ في تكديس المكاتب فوق بعض، وتجميع ومسح القاذورات المتناثرة على الأرض. ثم جاء مدرس رياضيات في منتصف الثلاثينات، مرتدياً بذلة وكرافتة، وصاح في البنات: "تعالين أنت وهي هنا لمساعدتهما، امسكين هذا المكتب، خذي المقشة واكنسي". أما السيدة المتطوعة، فقد تمسكت بيد المقشة وأصرت على الاستمرار في الكنس ويبدو أن النموذج الذي قدمه هذان المتطوعان قد أخرج المدرسين من غرفتهم ودفعهم نحو العمل؛ ثم بدأت مجموعات العمل تحتل رويداً كل حجرات الفيلا. أما معسكرات العمل التالية.. فقد ضمت عدداً أقل من الأشخاص، ولكنها كانت أكثر تنظيماً؛ وقد تحولت المهام من الطلاب وصيانة المبنى إلى تنظيف المساحات الداخلية والمحيطية بالمدرسة. كان المتطوعون، والطلاب، والمدرسون يلتقون صباح يوم الجمعة لالتقاط وتكديس كميات من ورق التغليف المفضض، والأكواب البلاستيك، والطوب المكسور، والبلاط الأسمنتي، وبقايا الحديد والخشب، وقمامة أخرى ملقاة خارج أسوار المدرسة وفي المنطقة المحيطة بها. وقد غامرت مجموعة المتطوعين في كل معسكر عمل إلى مناطق أبعد من الحدود المباشرة للمدرسة، وكانت تتجه نحو الشوارع القريبة؛ بهدف خلق شعور بالمسؤولية الاجتماعية في المجتمع المحيط.

وعلى الرغم من أهمية الخطوات التي أدت إلى تشكيل معسكرات العمل، إلا أنها لا تمثل سوى مرحلة واحدة من العملية بأكملها؛ فالتحديات الحقيقية المتعلقة بالحفاظ على الإنجازات واستدامتها كانت لا تزال في الطريق.

معسكر العمل

وصول الطالبات الى معسكر العمل

عملية مسح الممرات

مساعدة عمال الطلاء

تلميع المكاتب

تنظيف حوش المدرسة

تلميع اثاث مكتب الناظر

٧. اختبار المتابعة والاستدامة

لقد تطور مستوى نظافة المدرسة بطريقة ملحوظة خلال الشهور التالية لمعسكرات العمل. وقد ساهم الناظر في الاحتفاظ بقوة الدفع، من خلال تشجيع مجموعة المدرسات المتحمسات، والثناء على جهودهن في تجميع الطالبات بطريقة منتظمة لجمع القمامة، والحفاظ على نظافة فصولهن. وبالطريقة نفسها، كانت الطالبات يحرصن بنشاط أكبر على نظافة المبنى والأرضيات. وقد لاحظت إحدى المعلمات أن تلميذاتها أصبحن أكثر حرصاً وحفاظاً على فصولهن بعد طلاء الجدران. كما لاحظت معلمة أخرى أن البنات اكتسبن إحساساً بالفخر تجاه مدرستهن؛ فقد سمعن مراراً عديدة يمنعن زميلاتهن من الكتابة على الجدران، أو إلقاء القاذورات على الأرض.

كذلك علقت التلميذات على مدى استمتاعهن بالمدرسة بعد الإصلاح؛ وتقول إحدى البنات: "لقد أصبحت المدرسة أكثر راحة الآن؛ إنني أفضل الحضور إلى هنا بدلاً من الغياب كثيراً، كما كنت أفعل في العام الماضي". وتلاحظ طالبة أخرى: "إنني أشعر باسترخاء حقيقي في المدرسة هذا العام، فهي تبدو أكثر إشراقاً واتساعاً". لقد صاحبت هذه المواقف الإيجابية تغييرات سلوكية، تم تعميقها من خلال أنشطة منتظمة، قام بها المعلمون وكبار الإداريين على امتداد المدرسة وخارجها.

اختارت الأنسة منى، مدرسة الإعلام، موضوع "البيئة المدرسية" للكتابة عنه في مجلة المدرسة وهي مجلة حائط، تتضمن قصصاً وأخباراً تكتبها التلميذات، ويتم تثبيتها على أحد جدران المدرسة ليقراها من يريد. لقد وفر هذا النشاط الفرصة للطالبات للتأمل حول التجربة، والتعبير عن طموحاتهن بالنسبة للمدرسة، وطريقة إنجاز هذه الأحلام. كما نظم المعلمون مسابقة لاختيار أجمل وأنظف فصل في المدرسة؛ فقامت الطالبات بتنظيف وتزيين الفصول، ووضع الزهور الطبيعية على الأبواب، وتعليق الستائر على النوافذ، وعرض أشغالهن اليدوية، وتأسيس عيادات صغيرة تتضمن بعض الإسعافات الأولية، وتعليق البالونات على الجدران وتزيينها بالورق المفضض متعدد الألوان. وقد برزت بعض الأشغال اليدوية المتميزة،

المجتمع المحيط يتفقد المعرض المعلق على الجدران

مثل قائمة بأسماء التلميذات منسوجة داخل باقة من الزهور، وملصقات لرسم جغرافية وفلكية مرسومة يدوياً. وقد قام وفد يضمني، ونائب مدير المدرسة، والمشرفة الاجتماعية، ورئيسة قسم الدراسات البيئية، بزيارة جميع الفصول وتشجيع وتهنئة الطالبات على إنجازاتهن، وقد حصل كل فصل على

مسابقة تجميل الفصول

درجات خاصة بالنظافة، والفن، والأمان، وتم منح ثلاث جوائز؛ كما نظمت لجنة المنظمة غير الحكومية حفلاً، قامت خلاله بتوزيع هدايا رمزية على كل المعلمين الذين شاركوا في هذه المبادرة. وقد اكتسبت المدرسة كذلك اعترافاً رسمياً بجهودها، حينما منح رئيس القطاع التعليمي الجائزة الأولى للمدرسة على النظافة على مستوى المنطقة.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المعلمون والتلاميذ المنتمون إلى فترة الأستاذ مصطفى - التي سنشير إليها بالفترة الأولى - في تجميل المدرسة والحفاظ على نظافتها، فقد ظلوا عاجزين عن الحصول على التزام زملائهم من الفترة الثانية. وقد أفادوا بأن المشكلة متعلقة أساساً بالناظرة، التي وصفوها بالحدود ومحدودية الأفق والقدرات المهنية. فقد كان رد فعلها لكل محاولات التجميل أن أمرت المعلمين والطالبات التابعين لها بنزع كل الزينة من الفصول. وحينما وصل أعضاء الفترة الأولى صباح اليوم التالي، وجدوا الجدران عارية من الزينة التي علقوها، كما وجدوا الملصقات المرسومة يدوياً مكسدة في الفناء باعتبارها قمامة.

عبر أعضاء الفترة الأولى - من معلمين وطلاب - عن شعورهم بالإحباط حيال الموقف العائق لزملائهم في الفترة الثانية، إلا أنهم ظلوا مصممين على المضي قدماً، والاحتفاظ ببيئة محيطة نظيفة ونظيفة، حتى لو كان هذا معناه الاضطرار إلى إصلاح الفوضى، التي تركها وراءهم زملاء الفترة الثانية؛ إذ إنهم ذاقوا طعم الاستمتاع بالمدرسة بعد التطوير، وكان تصميمهم أكبر على خلق علاقات تعاون أوثق مع زملائهم في المناوبة الثانية. فسعوا للحصول على مساعدة السيدة عليّة، مشرفة القطاع، التي رأت لجنة مدرسية تضم ١٥ معلماً وإدارياً ينتمون إلى المناوبتين. كانت تعقد اجتماعات هذه اللجنة ما بين الثانية عشر والواحدة ظهراً، وهي الفترة المحايدة الواقعة بين الفترتين. لقد تغيبت ناظرة الفترة الثانية بانتظام عن هذه الاجتماعات؛ لأنها لم ترغب في تمضية وقتها في هذه الأنشطة "الإضافية"، كما كان المعلمون التابعون لها مترددين في الالتزام بشيء، دون الحصول على دعم ناظرتهم. وعلى الرغم من الجهود المتعددة التي بذلها أفراد الفترة الأولى لإقناع زملائهم من الفترة الثانية، فإنهم أخذوا على أنفسهم عهداً بتحمل مسؤولية هذه المبادرة وحدهم إن لزم الأمر؛ نظراً لقناعتهم العميقة بالفوائد المترتبة على وجود بيئة جميلة ونظيفة.

وقد عبر العاملون بالفترة الأولى تكراراً عن أملهم في أن تقوم وزارة التعليم بالوفاء بوعودها في بناء

مزيد من المدارس، والتخلص من نظام الفترات بطريقة نهائية؛ حتى يتمكنوا من امتلاك مدرستهم كليا. إلا أنه، نظراً للتراجع في بناء المدارس خلال السنوات الماضية، وتخصيص نسب أكبر من الميزانيات التعليمية لمجالات مثل التكنولوجيا وشراء المعدات، فقد تظل بعض الاحتياجات الأساسية للتعليم – مثل المباني المدرسية – مهمة. ومن الواضح أنه ما زال هناك عدد من القضايا التي تحتاج إلى التدخل على المدى الطويل، مثل: كيف يستطيع كل الطلاب، والمعلمين، والإداريين، وأعضاء المجتمع المحيط حل الخلافات، والحصول على ملكية مدرستهم، وتحمل مسئوليتها. إن المدرسة مؤسسة عامة، وموقع جماعي، ومكان يؤثر بعمق في حياة عديد من الناس، من بينهم الطالبات، اللاتي يقضين جزءاً كبيراً من طفولتهن ومراهقتهن داخل هذه الجدران، في إطار الحي المحيط، وفي صفوف هذا المجتمع.

الطالبات داخل الفصل الذي تم دهانه مؤخراً باللون المشمشي

تجميل الفصل

ملصق من اعداد الطالبات يطالب بالحفاظ على النظافة

الاحتفال بالفصل الجديد

يتولد الشعور بالمسؤولية تجاه الكوكب، من خلال الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع المحيط بنا. فمن الصعب أن نتخيل أن شخصاً يبذل عشه الخاص، سوف يعني كثيراً بالشجرة التي تأوي هذا العش. ينبغي علينا (إن نختار) وسائل تحفز الطلاب على العناية بمدارسهم الخاصة، وبأحيائهم، وبمدنهم.

Neil Postman

The End of Education: Redefining the Value of School

مهما كانت المفاهيم والرؤى المتعلقة بالتنمية بالمشاركة، والتي لجأت إليها لجنة المنظمة غير الحكومية قبل الدخول إلى المدرسة، عبر عملية تضمنت مناقشات لا نهاية لها، وعلي التعرف علي حياة المعلمين والعاملين الآخرين بالمدرسة عن قرب، ورغم نشوب الخلافات، وعقد الصداقات، وظهور الصراعات، فقد اختلفت هذه الرؤى والمفاهيم كثيراً مع مرور الشهور. وبعد مرور سنتين على إطلاق هذه المبادرة، يمكننا أن نرى بعض التطور الملموس على مستوى المدرسة: فمباني المدرسة أصبحت أكثر جاذبية بفصولها وفضاءاتها العامة المطلية بالألوان البنفسجية والمشمشية؛ كما أصبحت المدرسة أكثر أماناً حيث تم تغيير السلالم، ووضع إضاءة أفضل في الممرات والفصول.

لقد أشار عديد من المعلمين والطلاب إلى أن التغييرات التي حدثت في أوضاع المدرسة، والتي لعبوا دوراً نشطاً في إحداثها، قد طورت بطريقة جذرية مواقفهم حيال مدرستهم، وجعلتهم يشعرون بالفخر لإقران أسمائهم بها. وعليه.. بذلوا مزيداً من الجهد للحفاظ على نظافة وجاذبية المدرسة، وتم الاعتراف بهذه الجهود، من خلال منحهم الجائزة الأولى لنظافة المدرسة على مستوى المنطقة.

وهناك بالإضافة إلى المزايا الملموسة، مكتسبات أخرى ضمنية، غير مقصودة، ولكنها لا تقدر بثمن هي الأخرى. فقد اتضح أن شهور التخطيط التي لم يبرز خلالها "شيء يذكر"، كانت تحمل في طياتها أساليب جديدة لتفسير الأمور والتدخل في مجتمع المدرسة. وقد ساهمت الطالبات جزئياً في دعم هذه العملية عبر تخليهن عن اللون الرمادي واختيار ألوان أكثر إشراقاً وجاذبية لفصولهن. وبمعنى آخر، لعبت الألوان دور الإشارة الرمزية إلى التغيير، ومثلت حافزاً للطالبات والمعلمين لتخطي المقاربات التكنوقراطية للتعليم والاندراج في ممارسة عملية، أو التأمل في عالمهم الاجتماعي من أجل تغييره. ويمكن القول بكلمات أخرى أن مفهوم التغيير قد دخل حيز الأمور الممكنة.

كما قدمت المدرسات نموذجاً للزملاء الذكور حول وسائل جديدة للارتباط بمجتمعهم المهني والتفكير فيه، فحينما أضفت النساء مهاراتهم المنزلية على مكان العمل، استفاد المجتمع المهني ككل، كما انخفضت معدلات عدم المساواة المبنية على أساس النوع. ومن الملفت للانتباه أن اثنين من مدرسي التدريب المهني قد اندرجا - بكل فخر - في الأنشطة المتعلقة بالنظافة تحت نظر بقية زملائهم والطالبات، بعد مضي شهرين فقط من إعلانهم عدم القدرة على القيام بأعمال يدوية علانية. وكلما اكتسبت الأنشطة المرتبطة بمبادرة النهوض بالمدرسة سمعة جيدة، غير بعض المعلمين من طريقة تفسيرهم لعالمهم الخاص، وتصرفاتهم الشخصية، ويشير ذلك إلى أن المواقف والأدوار المبنية

اجتماعيا، والمتعلقة بالنوع، والسن، والوضع المهني، قابلة للتغيير.

لقد تمثل العيب الأساسي لهذه المبادرة في عدم القدرة على إقامة علاقات أوثق بين مجتمع الفترتين. فكلما تعاظم دور أعضاء الفترة الأولى في تطوير مثاليات الاعتماد الذاتي من خلال صيانة وتنظيف وتجميل البيئة المدرسية، تصاعدت الاحتكاكات مع أفراد الفترة الثانية، التي اعتبر بعضهم أن النهوض بالمدرسة هو مضيعة للوقت. ومهما كانت درجة نجاح هذه المبادرة، فإنها عجزت عن الحصول على دعم المجتمع المدرسي بأكمله، كما أخفقت في حل المشكلات الناجمة عن الاشتراك في استعمال الخدمات نفسها. وفي العالم المثالي، يكون لكل مجتمع مدرسي مدرسته الخاصة، غير أنه نظراً لعدم توافر هذه الفرصة دائماً، فإن المبادرات المستندة إلى المجتمعات المحلية قد تقدم بعض الحلول.

إن المقاربات المبنية على المشاركة في تطوير المدارس تتضمن إمكانية بناء المجتمعات، وتطوير روح المواطنة، وتحويل أعضاء المجتمع - طلاباً ومعلمين - من مفعول بهم، متلقين سلبيين، إلى فاعلين إيجابيين داخل عالمهم، مع ضمان حدوث العملية التعليمية في بيئة آمنة ونظيفة وصحية، ومضائة إضاءة جيدة، ومحيط جذاب. ومن شأن وزارة التربية والتعليم وهيئات المعونة والتنمية الدولية أن تساهم مساهمة فعالة في تحويل "التعليم" إلى "تربية" في اتجاه المسؤولية الاجتماعية، والوعي البيئي، والتربية المدنية، إذا ما خصص مزيد من الموارد للأولويات الأساسية مثل صيانة المدارس، والتطوير بالمشاركة.

أما على المستوى الشخصي، فإن علاقتي بالحي قد شهدت تغييرات جذرية، منذ القيام بهذه المبادرة قبل ثلاث سنوات. فكثيراً ما أقابل في الشارع طالبة أو أحد معلمي المدرسة، فنتبادل ابتسامة أو نتجاذب أطراف الحديث، وحينما أمر إلى جوار المدرسة، تتنامى إلى سمعي أصوات مألوفة، كما تلتقط عيوني نظافة الأرضيات.. وهكذا أصبحت عضواً فاعلاً في هذا الحي، بعد مرور سنوات طويلة على حياتي فيه.

السيد مصطفى مع الكاتبة اثناء حفل المدرسة

ملحق: الخطوات الإرشادية لتبني مدرسة

على الرغم من أن المدارس والأحياء تحمل خصائصها المتميزة، إلا أن هناك بعض الخطوات العامة التي من شأنها مساعدة الأفراد والمنظمات المعنية بالبدء في إطلاق مبادرة "تبني مدرسة". ونقدم فيما يلي بعض الخطوات الإرشادية واقتراحات بالخطوات الأولى، ووسائل المحافظة على حيوية المشروع.

البدايات

- على الأفراد الذين يرغبون في تشكيل لجنة حي لتبني مدرسة الاتصال بوكيل الوزارة الأول للتعليم العام في مصر، الدكتور حسن البلاوي، في وزارة التربية والتعليم بالقاهرة، بمقتضى رسالة تتضمن اسم المدرسة والمنطقة التعليمية التي تنتمي إليه.
- على المنظمات غير الحكومية الاتصال بإدارة المنظمات غير الحكومية لدى وزارة التعليم.
- على الأهالي الاتصال بمجلس الأمناء لدى وزارة التربية والتعليم.
- بمجرد إخطار وزارة التربية والتعليم سوف يتم تعيين مشرف من المديرية التعليمية المناسبة للإشراف على المبادرة المتعلقة بالمدرسة. ويجب توفير أسماء كل الأفراد الذين سيدخلون المدرسة إلى هذا/ هذه المشرف/ة ليخضعوا للإجراءات الأمنية، كما يجب تقديم أي وثائق مرتبطة بالمشروع للمشرف المعين.
- يجب مناقشة كافة المسائل المالية مثل تدبير التمويل، أو مجالات الإنفاق مع مشرف المنطقة وناظر/ة المدرسة الذين سيقدمون المشورة حول قنوات قبول المساهمات سواء كانت أموال معدات أو المساهمة في الخدمات المدرسية.

تشكيل لجنة المدرسة

- يجب التعاون منذ البداية بطريقة وثيقة مع كبار المسؤولين الإداريين بالمدرسة؛ وخاصة الناظر/ة ونائب المدير، حيث إن دعم هؤلاء شرط مسبق لكسب صف المعلمين والطلاب في مراحل لاحقة من المشروع.
- تشكل لجنة مدرسية تتكون من معلمين، وطلاب، وأهالي، وإداريين، ومتطوعين من الحي. كما يشجع المعلمون على تطوير المعايير لاختيار الطلاب، الذين سيقومون بدور قيادي في المبادرة ويشاركون في معسكرات العمل.
- يجب إدراج معلمي الأنشطة كالفنون، والبيئة، والإعلام، والصيانة، في اللجنة المدرسية، كما يتم مناقشتهم وإبداء الاقتراحات حول أفضل السبل لتضمين المشروع في دروسهم وأنشطتهم.
- يتم التخطيط لاجتماعات منتظمة بهدف مناقشة احتياجات وأولويات المدرسة وأفضل الطرق لتحقيقها.
- ينبغي التأكد من إعلام مشرف المنطقة بكل الاجتماعات والأنشطة التي تقوم بها اللجنة.

الإعداد لمعسكرات العمل

- يتم الإعداد لمعسكرات العمل بحرص، من خلال التواصل والتنسيق مع الطلاب، والمعلمين، والأهالي، والمتطوعين من الحي، قبل انعقاد المعسكر فعليًا بوقت كاف.
- على اللجنة المدرسية تفويض المعلمين والطلاب بمسؤوليات محددة، لتفادي الفوضى أيام انعقاد المعسكر.

المتابعة

- يجب مواصلة عقد الاجتماعات المنتظمة مع اللجنة المدرسية؛ للاستمرار في تقديم الأفكار حول المشروعات الجديدة، والحفاظ على حسن سير المشروعات القديمة.
- ينبغي التخطيط لأنشطة المتابعة مع أولئك الطلاب، الذين لم يدخلوا في معسكرات العمل، ويمكن أن تتضمن هذه الأنشطة: كتابة المقالات، والتقاط الصور للنشر في المجلة المدرسية، أو إجراء المسابقات حول تزيين حدائق المدرسة والفصول.
- يجب عقد معسكرات العمل بطريقة دورية.
- يجب توثيق العملية بأكملها، وتشكيل شبكات الاتصال مع أفراد ومنظمات أخرى، تعمل وفق المنهج نفسه في المدارس المصرية.

١- ضمت مجموعة عضوات المنظمة غير الحكومية أمريكيتين و سودانية، هن بالترتيب: باربارا إبراهيم، ليندا هيريرا، وسارة بخاري.

٢- أنظر الأهرام ويكلي، ١٩٩٩؛ ميدل إيست تايمز، ١٩٩٩.

٣- يرجى ملاحظة أن المؤتمرات العالمية للأمم المتحدة حول المرأة قد قدمت ما يمكن اعتباره أكثر التوصيات شمولاً على مستوى السياسات. كما تم صياغة استراتيجيات مستقبلية لمساعدة الدول على تطوير سياسات تعليمية، مبنية على مقاربات أكثر إنصافاً فيما يتعلق بالجنسين. ويمكن اعتبار أن أكثر الاستراتيجيات ملائمة لأهدافنا - أي المبادرة بتطوير أوضاع مدرسة للبنات - هي تلك الاستراتيجيات المتعلقة بالتدريب المهني، ويدور المنظمات غير الحكومية في التنمية. ففي اللقاءات الدولية التي عقدت في نيروبي (١٩٨٥) وبكين (١٩٩٥)، أوصت الاستراتيجيات المستقبلية بتوفير التدريب المهني للنساء، وتطوير مهاراتهم الإدارية، ومساهمة المنظمات غير الحكومية بدور في تدريب النساء على "الاعتماد الذاتي والقيادة". (Stromquist 1997: 206-207)

٤- لقد تم تغيير أسماء المدارس، والمعلمين، والإداريين، للحفاظ على خصوصيتهم.

٥- من أجل تناول أكثر شمولاً لنظام الفترتين على مستوى العالم، يمكن الرجوع إلى كتاب Mark Bray (2000)

٦- قامت باربارا إبراهيم، المدير الإقليمي لمكتب غرب آسيا وشمال أفريقيا لمجلس السكان، بالاتصال بأحد المديرين التنفيذيين في المكتب المصري لشركة جنرال إلكتريك؛ مطالبة إياه بتقديم دعم مالي لمشروع رياضي في مدرسة مصرية، وحصلت على منحة قدرها \$١٠.٠٠٠.

٧- كان وكيل الوزارة هو السيد مهندس محمد رجب شرابي وقت إطلاق هذه المبادرة.

٨- لقد ظلت مادة الصيانة مادة إجبارية لكل المدارس المتوسطة منذ ١٩٩٧، وهي تختص بالصيانة الأساسية للمنازل. ويتم تدريس هذه المادة لمدة ٤٥ دقيقة أسبوعياً وتضم موضوعات مثل الكهرباء والنجارة البسيطة.

٩- ينبغي الحصول على موافقة من مكتب القطاع التعليمي المختص بشأن كل المكافآت التي يتم صرفها، وكان المعلمون يتقاضون مكافأة شهرية قدرها ٢٠ جنيهاً مقابل مشاركتهم في المشروع (أي ما يعادل تقريباً \$٦ في ذلك الوقت).

- Al Ahram Weekly*. 1999. "The Price of Neglect?" 28 October–3 November.
- Al Hetti, Abdul G. and Colin Brock. 1997. "Vocational education and development: Key issues, with special reference to the Arab world." *International Journal of Educational Development* 17(4): 272–389.
- Bennett, Kathleen P. and Margaret D. LeCompte. 1990. *How Schools Work: A Sociological Analysis of Education*. White Plains, NY: Longman.
- Bray, Mark. 2000. *Double-Shift Schooling: Design and Operation for Cost-Effectiveness*. Second edition. Paris: UNESCO/International Institute for Educational Planning.
- Brown, David. 1985. "People-centered development and participatory research." *Harvard Educational Review* 55(1): 69–75.
- Eagleton, Terry. 1990. *The Significance of Theory*. Cambridge, MA: Blackwell.
- El Tawila, Sahar et al. 1999. *Transitions to Adulthood: A National Survey of Egyptian Adolescents*. New York: The Population Council.
- — —. 2000. *The School Environment in Egypt: A Situational Analysis of Public Preparatory Schools*. New York: The Population Council.
- Foucault, Michel. 1977. *Discipline and Punish: The Birth of the Prison* (translated by Alan Sheridan). New York: Pantheon.
- Freire, Paulo. 1970. *The Pedagogy of the Oppressed* (translated by Myra Bergman Ramos). New York: Seabury.
- — —. 1993. *Pedagogy of the City*. New York: Continuum.
- Gadotti, Moacir. 1994. *Reading Paulo Freire: His Life and Work*. translated by John Milton. Albany: State University of New York Press.
- Gandhi, Mohandas K. 1957. *An Autobiography: The Story of My Experiment with Truth*. Boston: Beacon Hill.
- Greene, Maxine. 1995. *Releasing the Imagination: Essays on Education, the Arts, and Social Change*. San Francisco: Jossey-Bass.

— — —. 1998. "Interview." in Carlos A. Torres (ed.). *Education, Power, and Personal Biography*. New York and London: Routledge. Pp.159–182.

Herrera, Linda. 1992. "Scenes of schooling: Inside a girls' school in Cairo." *Cairo Papers in Social Science* (15)1, 1-89.

— — —. 2002. Participation in School Upgrading: Gender, Class and (in)Action in Egypt. *International Journal of Educational Development*. 23:2, 187-199.

Hall, Budd L. 1981. "Participatory research, popular knowledge and power: A personal reflection." *Convergence* 14(3): 6–18.

Levinson, Bradley, Douglas E. Foley, Lois Weis, Dorothy Holland (eds). 1996. *The Cultural Production of the Educated Person: Critical Ethnographies of Schooling and Local Practice*. New York: State University of New York Press.

Middle East Times, Egypt edition. 1999. "School wall collapse shakes Zamalek." 29 October.

Ministry of Education. 1997. *Pre-University Education*. Cairo: Government of Egypt Ministry of Education.

Mitchell, Timothy. 1988. *Colonising Egypt*. Cambridge: Cambridge University Press.

National Center for Educational Research and Development (NCERD). 1996. *Development of Education in Arab Republic of Egypt: 1994/95–1995/96*. Cairo, NCERD.

— — —. 2001. *National Report of The Arab Republic of Egypt from 1990 to 2000*. Cairo: NCERD.

Postman, Neil. 1995. *The End of Education: Redefining the Value of School*. New York: Alfred A. Knopf.

Stromquist, Nelly P. 1990. "Gender inequality in education: Accounting for women's subordination." *British Journal of Sociology of Education* 11(2):137–153.

— — —. 1997. "Gender sensitive educational strategies and their implementation." *International Journal of Educational Development* 17(2): 205–214.

الصور الفوتوغرافية : ليندا هيريرا ©

تصميم وطباعة

دار النخيل للنشر والطباعة

تليفون : (٢٠٢) ٧٣٦-٥٤٥٨ / (٢٠٢) ٩٨٦٧-٧٣٥

فاكس : (٢٠٢) ٩٨٦٨-٧٣٥

palmprss@gega.net

www.thepalmpress.com

برنامج منح أبحاث الشرق الأوسط
في السكان والعلوم الاجتماعية (ME Awards)

مجلس السكان الدولي

٥٩ طريق مصر حلوان الزراعي

المعادي - القاهرة

تليفون: ٥٢٥٥٩٦٥ - ٢٠٢

فاكس: ٥٢٥٥٩٦٢ - ٢٠٢

www.popcouncil.org/meawards/meawards.html